إسهام المجلات الثقافية فى الاصلاح الثقافي والاجتماعى فى الوطن العربي

■ د. خالد فهمى – مصر

مدخل: المخاطر ظاهرة!



هذا مفتتح صالح هنا من بعض الوجوه؛ لأن إطلاقه من قبل من أطلقه وهو مصطفى صادق الرافعي -رحمه الله- في بعض المجلات الثقافية في بداية القرن الميلادي المنصرم، شاهد على منظومة ثابتة في الحياة الإنسانية، وسنن الوجود الاجتماعي؛ إذ لا يجوز أن نستهين بأي قدر من الخلل في البنية الثقافية والاجتماعية تعييناً.

وقد استقر في الإستراتيجيات المعاصرة حقيقة تقرر أن حرب الأفكار هي المقدمة الضرورية للتغيير!

وفحص مخططات الغرب نحو الأمة العربية يدعم هذا المدخل؛ ذلك أن الطرح الغربي والأميركي تعييناً.. يستهدف خلخلة الأنسجة الاجتماعية العربية والإسلامية، على حد تعبير الدكتور سيف الدين عبدالفتاح أستاذ النظرية السياسية بالقاهرة.

هذا الهدف الإستراتيجي ناتج ممارسات قائمة ومرصودة، أتاح بعض ما تسرب من معلومات أن يفضح ما يتعلق بتفيذها بأدوات ثقافية منها المجلات الثقافية في البلدان العربية. وهو الأمر الذي يجعل من التخريب في المجال الثقافي من خلال بوابات المجلات الثقافية مقدمة قائدة إلى تحقيق الاستراتيجية الغربية المعلنة، المتمثلة في خلخلة الأنسجة الاجتماعية في البلدان العربية.

أنموذج دال!

وفي طريق تأكيد الدور الخطير الذي لعبته، وما تزال تلعبه المجلات الثقافية في صناعة التغيير الاجتماعي وتوابعه.. يجب أن نتذكر ما أنشأته الولايات المتحدة الأميريكية من اتحادات ومجالس للحرية الثقافية، التي قامت بإنشاء فروع لها في العالم، وبعضها في العالم العربي، فقد أصدرت أكثر من عشرين مجلة ثقافية من أمثال: كوفنتري، ونيوليدر، وبازتيزان ريفيو، والعلم، والحرية، وانكاونتر، والشعراء البيروتية وغيرها.. أوكل إليها جميعا تغيير العالم وفق رؤية خططت لها المخابرات الأميركية على ما تحكيه «فرانسيس ستونر سوندرز» في كتابها المحيط (The cultural cold war)= (الحرب الباردة الثقافية: المخابرات المركزية الأميريكية وعالم الفنون والآداب).

الإصلاح الثقافي رهان المستقبل وسلاح المواجهة!

وإذا كان ما قدمنا إيضاحه بإيجاز صحيحاً على ما ظهر، فإن الإصلاح الثقافي يعد هو طريق النجاة للأمة العربية.

والإصلاح الثقافي يقصد به التقويم والتغيير والتحسين المستند إلى عناصر معرفية وفكرية محددة، نابعة من السياق العام للحضارة العربية الإسلامية بما هي المشكل الرئيسي للعقل والوجدان العربيين.

وهذا التعريف الذي نقترحه يعتمد على مجموعة من الحقائق التي تسكن رحم المعجمية العربية؛ ذلك أن الدلالة المحورية والمركزية لأصل مصطلح يدور حول أصل واحد جامع..هو خلاف الفساد.

وربما صح هنا.. أن الإصلاح الثقافي والاجتماعي بما هو محور مركزي في الوجود العربي، يمكن تأمل حضوره في المحاور الآتية:

١-الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالمعنى الأخلاقي والثقافي والاجتماعي.

٢-الإحسان والتكافل.

٣- الرفق والرأفة والرحمة.

٤-إشاعة الوئام والسلام الاجتماعي، ومحاصرة أسباب العداوات.

٥- النزوع نحو العمل الطيّب.

٦-إزالة عموم ما يسمى فساداً.

٧- الحرص على مقومات الهوية والوجود العربيين ودعمهما.

وهذه المحاور التي تشكل عموم صورة الإصلاح الثقافي والاجتماعي في البلدان العربية.. تحتاج إلى جهاد فكرى يستثمر كل الأوعية الثقافية العربية المعاصرة.. الورقية وغير الورقية.

إسهام المجلات الثقافية في تحقيق الإصلاح الثقافي والاجتماعي

ومن الحق أن نقرَّ أن عددا ضخما من رواد حركات الإصلاح في العصر الحديث.. فطنوا إلى الدور الخطير الذي لعبته المجلات الثقافية العربية في دعم حركاتهم الإصلاحية. وربما أمكن تأمل ذلك من خلال فحص الارتباط بين عدد من الأسماء اللامعة في الميدان الإصلاحي الثقافي والاجتماعي.. وعدد من المجلات الثقافية العربية الرائدة، مثل: محمد عبده وجمال الدين الأفغاني والدعوة الوثقى، ومحب الدين الخطيب والزهراء والفتح، وأحمد حسن الزيات وعلي الطنطاوي والرسالة، وعبدالله النديم وحسن البنا في الدعوة.. و غيرهم كثيرون.

وفي هذا السياق يمكن أن نسوق مقترحاً ربما يصح تسميته بميثاق شرف إصلاحى.. يستهدف الإصلاح الثقافي والاجتماعي، يرعى المحاور الآتية من خلال المادة التحريرية، أيا ما كان جنسها مقالا أو بحثا أو عملا إبداعيا إلخ..

أولا: استلهام العناصر الإسلامية العامة بما هي، الروح المنسربة في الوجدان والعقل العربيين عبر التاريخ الممتد لهذه الأمة العربية، وهى: العناصر الداعمة لمفاهيم التوحيد والتزكية الإنسانية والعمران البشري.

ثانياً: اعتبار مبادئ المساواة الإنسانية أصلاً جامعاً وحاكماً بين طوائف العرب، والابتعاد مطلقاً عما يمكن أن يكون جذوة تشعل نيران الطبقية والعنصرية المدمرة للوجود الاجتماعي العربي.

ثالثاً: الإلحاح على مبدأ النسيج الاجتماعي والوطني الواحد، ودعم القيم المفضية إلى توكيده وترسيخه، من مفاهيم التعارف والتكافل والتضامن والتفاهم والتقارب، وهو بعض ما يمكن أن تقوم به المجلات الثقافية العربية بين كتابها، بالحرص على تعريفهم، وبيان طرق التواصل معهم وبين قرائها.. بما هو قائم من أبواب ترعى هذه القيم المرسخة للتلاحم في النسيج الوطني والاجتماعي.

رابعاً: الحرص على إبراز الأرصدة الدينية والتاريخية الممتدة الداعمة لمفاهيم الأخوة العربية.

خامساً: الإلحاح على أفكار دعم الوحدة الثقافية ومقوماتها المتمثلة في الوعي الجمعي العربي المشترك، والمتمثل في اللسان العربي الواحد، والتراث الهائل المشترك إلخ.

سادساً: دعم الأصوات المنتمية للروح العربية، واستيحاء النصوص التراثية الممتدة الراعية والمعمقة للثقافة الأصيلة.

سابعا: الحرص من المجلات العربية الثقافية كافة على التواصل في رموز المثقفين العرب، ولدينا نموذج من المجلات الثقافية التي نهضت بهذا فترة طويلة من الزمن: كالرسالة، والعربي، والوعي الإسلامي، والفيصل، والمجلة العربية.. وكثير منها ما يزال قائما.

ثامناً: إعادة الاعتبار للقيم الثقافية والاجتماعية العربية الأصيلة، باستدامة المواد الثقافية المرسخة لقيم الأخلاق العربية.. من مروءة ونجدة وكرم وشجاعة وحلم.. إلخ، وإعادة الاعتبار لعدد من محددات الثقافة العربية الأصيلة الشكلية أيضا مثل الاحتفال والاحتفاء بجماليات الثقافة العربية؛ كالعناية بجماليات الخط العربى، واستيحاء الارتباط بجماليات الجغرافية العربية، والوجوه العربية، والحيوانات العربية.. إلخ.

تاسعاً: العناية بإبراز جهود رواد الإصلاح الثقافي والاجتماعي في الحضور العربي في العصر الحديث، بإبراز بعض نصوص كتاباتهم، والتعريف بجهادهم في هذا الميدان. والقائمة تطول لو استشهدنا بأمثلة لهم، وربما صح هنا أن نتذكر الرواد: محمد بن عبدالوهاب ١٢٠٦هـ=١٧٩١م، وجمال الدين الأفغاني ١٣١٤هـ =١٨٩٧م، وخير الدين باشا التونسى ١٣٠٧هـ=١٨٧٩م، وعلى باشا مبارك ١٣١١هـ=١٨٩٣م، وعبد الله النديم ١٣١٣هـ=١٨٩٦م وعبد الرحمن الكواكبى ١٣٢٠هـ١٩٠٢م، ومحمد عبده ١٣٢٣هـ=١٩٠٥م، وحسن البنا ١٣٦٨هـ=١٩٤٩م، وغيرهم كثيرون جدا.

إن بوسع المجلات الثقافية العربية المعاصرة؛ أياً ما كان شكلها، او نمطها التحريري.. أن تقف في وجه الإستراتجيات الأجنبية الساعية نحو اقتلاعنا ومحونا، وخلخلة نسيجنا الاجتماعي. وبوسعها أيضا أن تدعم روحنا العربية، وترسخ للنسيج المتلاحم من خلال بعض هذه المقترحات.

إن إيمان المجلات الثقافية العربية الورقية والضوئية بأننا أمة تملك أن تقدم شيئا إيجابيا للعالم والحياة.. سوف يعينها على العمل على ترسيخ قيم الإصلاح الثقافي والاجتماعي، فالأمة العربية أمة مانحة للحياة.